شرح
القواعد الأربع

تأليف

شيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهاب

شرح

فضيلة الشيخ

صالح بن عبد العزيز آل شيخ

شرح

فضيلة الشيخ

عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

دار الكوثر

شرح

القواعد الأربع

تأليف

شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

شرح

فضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل شيخ

فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

دار الكوثر للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الإيداع: 2008/8253

صف ومراجعة وإخراج فني «النور»

0107356733
hasanrha@yahoo.com

دار الكوثر

1 ش الإمام محمد عبده – خلف الجامع الأزهر
ت: 0103172827 ت: 25141711

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، ثم أما بعد:

لقد اهتم علماء أهل السنة -من قديم- ببيان العقيدة الصحيحة لعامة المسلمين؛ فصنفوا فيها التصانيف الكثيرة ما بين مختصرات وشروح وما بين رسائل للعامة ومتون لطلبة العلم، ومن بين هذه الرسائل المفيدة الرسالة التي صنفها الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي، والتي سماها «القواعد الأربع» والتي بيَّن فيها عقيدة التوحيد وأهميته، والشرك وما يضاده ...

ثم إن العلماء من بعده قد اهتموا بشرح تلك الرسالة وتوافرت لها شروح أهل العلم الكبار، ومن بين تلك الشروح قد اخترنا هذين الشرحين للعلامتين: صالح آل شيخ، وعبد الله بن عبد الرحمن آل جبرين حفظهما الله تعالى؛ لما اشتملا عليه من الفوائد القيمة وسهولة الألفاظ.

هذا، وقد استقينا تلك الشروح من خلال الموقع الرسمي لكلٍّ من الشيخين حفظهما الله.

وأخيرًا، الله نسأل أن يغفر لنا ويرحمنا ويعافينا والمسلمين.

والسلام

اعتنى به

مكتب النور

قال المؤلِّف رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

أسأل الله الكريم ربَّ العرش العظيم أن يتولاَّك في الدنيا والآخرة (1)، وأن

---

(1) قال الشيخ/ ابن جبرين:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذه القواعد تتعلق بتقرير التوحيد، والرد على القبوريين الذين يعبدون الأموات، ويدعون أن عبادتهم ليست شركا، ولا يسمونها عبادة، وإنما يسمونها توسلًا واستشفاعًا وتبركًا وتقربًا واحترامًا، ولكنها في الحقيقة عبادة؛ حيث إنهم يدعون الأموات، يهتفون بأسمائهم، يأتون إلى القبور يبنون عليها، يعتكفون عندها، يتبركون بترابها، ينادون الميت: يا ولي الله أنقذنا، انصرنا، ارزقنا، أعطنا. يقفون عنده ذليلين خاشعين متواضعين؛ وهذا هو حقيقة العبادة؛ فأصبحوا بذلك مشركين.

فهو يبين بهذه العقيدة وبهذه القواعد أنهم مشركون، وأن فعلهم هذا شرك، ويبين أهمية التوحيد، والحرص على معرفته وتحقيقه، والبعد عن الشرك حتى يصح العمل.

بدأ هذه القواعد بهذه المقدمة، يقول: (أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولاك في الدنيا والآخرة). دعوة طيبة من عالم مشهور، عالم مخلص للأمة دعا إلى التوحيد، ونفع الله تعالى بدعوته، ترجى إجابة هذا الدعاء لمن تابعه ولمن عمل

يجعلك مباركًا أينما كنت (1)، وأن يجعلك ممّن إذا أُعطيَ شكر (2)، وإذا ابتلي

به، توسل إلى الله بأنه هو الكريم الذي يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وبأنه رب العرش العظيم؛ أي أن من عظمته ومن جلاله وكبريائه أنه خالق كل شيء وأنه رب كل شيء، ومن ذلك أنه رب العرش. والعرش هو المخلوق الذي خصه الله تعالى بالاستواء عليه، وجعله سقف المخلوقات، لا يعلم قدره إلا الله.

توسل هاهنا بقوله: (أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولاك في الدنيا والآخرة). هكذا الدعوة الصالحة: أن يجعلك من أوليائه الذين: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وأن يحفظك وأن يوفقك وييسر لك الأمور، وأن تكون من أوليائه في الآخرة، الذين يسعدهم ويثيبهم الثواب العظيم.

(1) قال الشيخ/ ابن جبرين:

الدعوة الثانية: (أن يجعلك مباركا أينما كنت) كما جعل بعض أنبيائه، قال الله تعالى عن عيسى: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ إلى قوله: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ فكذلك إذا جعلك الله مباركا حصلت في أعمالك البركة، وفي علومك البركة، وفي دعوتك وفي تعليمك تحصل فيها البركة، التي هي كثرة الخير.

(2) قال الشيخ/ ابن جبرين:

الدعوة الثالثة: (أن يجعلك ممن إذا أعطي شكر)، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر. دعوة طيبة أيضًا. الإنسان يعترف بأن ما به من نعمة فمن الله، فإذا أعطاك الله تعالى الصحة فهي نعمة عليك أن تشكر، وإذا أعطاك الأولاد فعليك أن تشكر، وإذا أصلح عملك فعليك أن تشكر، وإذا أغناك من فضله فعليك أن

صبر (1)(2)،

تشكر، وإذا شكرت فأبشر بأن الله يزيدك ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾؛ وذلك لأن العبد لا ينفك في وقت من الأوقات عن الشكر؛ لأنه دائما في نعم ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾

(1) قال الشيخ/ ابن جبرين:

(وإذا ابتلي صبر) أي إذا نزلت به بلية، إذا ابتلي في بدنه بمرض، إذا ابتلي مثلًا بفقر أو فاقة، إذا ابتلي بشيء من أنواع الابتلاء؛ فإن عليه أن يحتسب ويصبر، قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ إلى قوله: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾

(2) قال الشيخ/ صالح آل شيخ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن هذه النبذة المختصرة -القواعد الأربع- من النّبذ المهمة، من مقال إمام هذه الدّعوة رحمه الله تعالى، وأهميتها تأتي بمعرفة مضادات تلك القواعد الأربع، وأنّ الإخلال بهذه القواعد الأربع، أو عدم ضبط تلك القواعد يقع معه لَبس عظيم في معرفة حال المشركين، وحال الموحّدين، والابتلاء وقع بحال أهل التوحيد، وبحال أهل الشرك، والله جل وعلا في القرآن بَيّن ما يجب من حقه في توحيده، وبين الشرك به، بيانا عظيما.

وهذه القواعد الأربع مأخوذة من نصوص الكتاب والسنة ومن معرفة حال العرب كما سيأتي، فهي قواعد عظيمة تعصم من حفظها وعلم معناها ممن يكون عنده تردد في مسألة الحكم على أهل الإشراك وعلى وجوب إخلاص الدين لله جل وعلا وكيف يكون ذلك.

إمام الدعوة رحمه الله كعادته في كثير من رسائله؛ يبتدئها بدعاء لمن يقرأ تلك الرسالة أو لمن وُجِّهت إليه، وهذا كما هو معلوم فيه التنبيه على أنّ مبنى العلم ومبنى الدعوة الرحمة، الرحمة والتراحم بين المعلم والمتعلم، والرحمة والتراحم بين الداعية والمدعو؛ لأنّ الرحمة في ذلك هي سبب التواصل، قال جل وعلا: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: 159]، يعني فبِرحمة من الله لنت لهم، و (ما) في هذه الآية قيل لتأكيد الجملة، وهي التي تسمى الزائدة؛ لزيادة التأكيد، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ يعني فبرحمة من الله لنت لهم، فالدعاء هذا ناتج عن الرحمة، وهكذا ينبغي على المعلم، وعلى الداعية، وعلى الآمر بالمعروف، وعلى الناهي عن المنكر أن يكون راحما بالخلق، أن يكون رحيما بهم، كما وصف الله جل وعلا نبيه عليه الصلاة والسلام بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107] وقال: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128]، وقال ابن القيم رحمه الله في وصف حال الدَّاعي إلى الله مع أهل المعصية وأهل النفور عن الحق قال في ذلك:

حتى حين توقع الحدود وتُطبّق؛ فهي تطبّق على وجه الرحمة لا على وجه الانتقام، رحمة بهذا الذي استحق تلك العقوبة أن تَسلَّط عليه إبليسُ والشيطان فجعله مستحقا لذلك، كالأسير من أحبابك إذا وقع أسيرًا في أيدي العدو.

فهذا التقديم بالدعاء من الإمام رحمه الله فيه التنبيه على ذلك، ودعا، وكان فيما دعا؛ أنّه سأل الله جل وعلا أن يجعلنا ممن إذا أُعطي شكر، وإذا ابتُلي صبر، وإذا أذنب استغفر، وهؤلاء الثلاث عنوان السعادة. إذا أعطي شكر؛ لأن العطاء من الله جل وعلا نعمة، الله جل وعلا يحب الشاكرين من عباده، والشكر يكون بلسان المقال، ويكون بالعمل: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ﴾ [لقمان: 114]، بالمقال وبالعمل: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سبأ: 13]، هذا من جهة العمل: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة: 152] هذا من جهة القول والعمل، ولهذا اختلف الشكرُ عن الحمد؛ فالشكر يكون عن نعمة، وأما الحمدُ فقد يكون لنعمة أو في مقابل نعمة وقد لا يكون؛ يكون ثناء مبتدءا، والشكر يكون باللسان وبالعمل، وأما الحمدُ فيكون باللسان دون العمل؛ فيه فروق كثيرة معروفة عند أهل العلم، هذا مما ينبغي تدبّره، وهو أن العبد إذا أعطي عطاءً شكر عطاءَ الله جل وعلا، وشكرُ العطاء كما ذكرنا بالقول وبالعمل:

- أمّا بالقول بأن ينسب ذلك العطاء إلى من أعطاه، وأن يثني عليه به، وأن لا يُلتفت فيه إلى غيره: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ [النحل: 53]، ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل: 83].

- ومن جهة أخرى -جهةُ العمل- يكون الشكر باستعمال النِّعم فيما يحب من أنعم بها وأسداها.

وهذا مما يحبه الله جل وعلا بل من عظيم ما يحب الله من العبادات أن يكون العبد شاكرا؛ ولهذا قال: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13]، وقال سبحانه: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ [الإسراء: 3]؛ يعني يا ذرية

وإذا أذنب استغفر (1) ، فإنّ هؤلاء الثلاث عنوان السعادة (2) .

من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا كان كثير الشكر لله جل وعلا، قال أهل التفسير: كان إذا أكل الأكلة شكر اللهَ عليها، وإذا شرب الشربة شكر الله عليها، وإذا اكتسى شكر الله على ذلك. يعني أن نتبرأ من كل حول وقوة في ما جاءه من النعم أو ما يسره وأن يعترف بأنها من الله جل وعلا.

وباب الشكر له صلة بالتوحيد، وكأنّ الإمام رحمه الله حين ذكر الشكر على العطاء، والصبر على البلاء، والاستغفار من الذنب، كأنه نظر إلى حال الموحِّد، خاطبه بما يجب عليه أن يكون معه دائما، فإنّ الموحِّد أنعم عليه بنعمة لا تعدلها نعمة؛ ألا وهي أنْ كان على الإسلام الصحيح، أنْ كان على التوحيد الخالص الذي وعد الله أهله بالسعادة في الدنيا والآخرة، ولا بد للموحِّد من الابتلاء، فسأل اللهَ له أن إذاابتلي صبر؛ والابتلاء قد يكون من جهة الأقوال التي توجَّه إليه، وقد يكون الابتلاء من جهة البدن، وقد يكون من جهة المال أو غير ذلك.

(1) قال الشيخ/ ابن جبرين:

(وإذا أذنب استغفر) هذه أيضًا دعوة طيبة؛ وذلك لأن الإنسان يغفل ويقع منه شيء من الخطايا؛ فلذلك عليه إذا وقعت منه أية خطيئة بقلبه أو بلسانه أو بعينه أو بأذنه أو في ماله أو في ولده أو في منزله، أو مع نفسه أو مع غيره؛ بادر وتاب واستغفر. ويعد كل غفلة ذنبًا. كان النبي ﷺ يستغفر ويتوب من الغفلة، يقول: «إنه ليغان على قلبي -يعني يأتيه غفلة- وإني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة». فإن هؤلاء الثلاث عنوان السعادة: الشكر والصبر والاستغفار.

(2) قال الشيخ/ صالح آل شيخ:

قال (وإذا أذنب استغفر) ؛ لأن الموحّد لا بد أن يكون معه شيء من

اعلم أرشدك الله لطاعته (1): أن الحنيفيّة ملّة إبراهيم: أن تعبد الله مخلصًا

الإعراض، و لا بد أن يقع الذنب؛ إما من الصغائر، وإما من الكبائر، والله جل وعلا من أسمائه الغفور، ولا بد أن يظهر أثر ذلك الاسم في بريئته وملكوته، لهذا يحب اللهُ من عبده الموحّد المخلص أن يكون دائم الاستغفار، ولا بد للموحّد من ذلك، والعبد إذا ترك عظيم الاستغفار جاءه بالكِبر، والكبر يحبط كثيرا من العمل، لهذا قال هنا (وإذا أذنب استغفر وهؤلاء الثلاث عنوان السعادة)، فإذن هذه متلازمة في حال كل موحّدٍ؛ وهي الشكر على العطاء، والصبر على البلاء، والاستغفار من الذنب والعصيان، وكلّما عَظُم العبد معرفةً بربه كلما عظَّم هذه الثلاث، وكلما عظم التوحيد في القلب عظمت هذه الثلاث، حتى يصير العبدُ لا يرى سوى الله جل وعلا في استحقاق شيء من أعماله وتُصرفاته، فإن غفل في ذلك كان استغفاره ليس استغفار الذي لا يفقه، لهذا كان عليه الصلاة والسلام يستغفر الله في اليوم والليلة أكثر من مائة مرة، وفي رواية في الصحيح «أنه كان يستغفر الله في المجلس الواحد سبعين مرة»، والموحد عليه خطر؛ خطر الغرور، الغرور لأنه من أهل التوحيد، أو من المحققين لاتباع السلف، أو ممن علم هذا العلم، ثم لا يكون في قلبه من الخضوع والذل الذي يعلمه الله منه، ما يكون ذلك سببا لقَبول هذه الوسيلة، وهي وسيلة التوحيد إلى الله جل جلاله، وشأن الله أعظم، وطلبَ من عباده شيئا قليلا، ولهذا عظم أمر التوحيد، وَقَبُحَ جدا الشرك وما جر إليه.

(1) قال الشيخ/ ابن جبرين:

(اعلم أرشدك الله لطاعته) هذه أيضًا دعوة أخرى. أرشدك الله يعني سددك ووفقك لأن تكون من أهل طاعته، الذين يطيعونه ويتبعون ما أمر به.

له الدين(1) كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56](2) **. فإذا عرفت أنّ الله خلقك لعبادته فاعلم: أنّ العبادة لا تسمّى عبادة إلا**

---

(1) قال الشيخ/ ابن جبرين:

(أن الحنيفية التي هي ملة إبراهيم هي أن تعبد الله وحده مخلصًا له الدين)

الحنيف: هو المقبل على الله المعرض عما سواه، وقيل: الحنيف هو المائل عن الشرك قصدا إلى التوحيد.

وملة إبراهيم سماها الله تعالى الحنيفية، وسماه حنيفا: ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾؛ يعني مائلا عما كان عليه المشركون من أهل زمانه، هذه الملة يعني الطريقة والشريعة: أن تعبد الله وحده، هذا تفسيرها؛ يعني تجعل عبادتك كلها لله وحده لا شريك له.

تعبد الله وحده مخلصا له الدين أي تخلص الدين له وحده، فلا يكون في دينك ولا في عبادتك شيء لغير الله، بل عبادتك كلها لله وحده، هذا هو الإخلاص، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾

(2) قال الشيخ/ ابن جبرين:

(وبذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾) هكذا أخبر بأنه سبحانه خلق الخلق لعبادته، الجن والإنس والملائكة وجميع المكلفين خلْق الله، وهو سبحانه خلقهم لأمر عظيم وهو أن يعبدوه. ولا بد قبل العبادة من العلم بها العلم بكيفية العبادة التي خلقوا لها؛ أن يعبدوه وحده بالعبادة التي أمرهم بها وخلقهم لها، أن تعبد الله وحده مخلصا له الدين.

مع التوحيد، كما أنّ الصلاة لا تسمّى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدتْ كالحدَث إذا دخل في الطهارة(1). فإذا عرفتَ أن الشرك إذا خالط

---

(1) قال الشيخ/ ابن جبرين:

(فإذا عرفت أن الله تعالى خلقك لعبادته)، خلق جنس الخلق -الجن والإنس- لعبادته، (فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد): ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ومعنى يعبدوني: يوحدوني؛ أي يفردوا ربهم سبحانه بالعبادة، لا يجعلوا معه ندا، ولا يدعون معه غيره، بل عبادتهم تكون كلها خالصة لوجه الله -عز وجل- هذا معنى العبادة، يعبدوني: أي يوحدوني ويخلصوا العبادة لي. (العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد) يعني: مع إخلاصها لله.

(كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة) أي: مع الطهارة ومع سائر شروطها، الشروط التي هي: الإسلام والعقل إلى آخر ذلك، ومن جملتها الطهارة من الحدث ومن النجاسة.

(فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، فإذا دخل الشرك العبادة فسدت)

الشرك دعوة غير الله معه، صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله، فإذا دعا الإنسان ربه في حالة من الحالات، ثم دعا معه مخلوقًا ميتًا كالذين يدعون عبد القادر مثلًا، أو يدعون معروفًا الكرخي أو يدعون السيد البدوي يدعون الله ثم يدعون معه هذا المخلوق الميت؛ فإنهم قد أشركوا، قد أدخلوا في العبادةِ ما يفسدها.

العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار (1) عرفتَ أنّ أهمّ ما عليك: معرفة ذلك (2)، لعلّ الله أن يخلّصك من هذه الشَّبَكة، وهي الشرك بالله الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: 116]، **وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه (3)...**

الشرك يفسد العبادة؛ قال الله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ فأعمال المشركين باطلة؛ قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾.

(1) قال الشيخ/ ابن جبرين:

يقول: (فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها) يعني أحبط ذلك العمل، (أحبط العمل): ﴿لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (وصار صاحبه من الخالدين في النار) لقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾

(2) قال الشيخ/ ابن جبرين:

(عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك) أي: معرفة التوحيد حتى تخلصه لله، ومعرفة الشرك حتى تبتعد عنه.

(3) قال الشيخ/ ابن جبرين:

(لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة)، الشبكة في الأصل: هي الحبالة التي

.................................(1)

يصاد بها الصيد، فكأن إبليس وأعوانه جعلوا شباك يصطادون بها المسلمين حتى يوقعوهم في الشرك، فإذا عرف المسلم التوحيد وعرف الشرك وابتعد عما يفسد توحيده؛ تخلص من تلك الشبكة (وهي الشرك بالله) الذي قال الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ ؛يعني الذنوب التي غير الشرك تحت المشيئة، قد يغفرها الله تعالى لبعض عباده وقد يعاقب عليها، ولو كانت كبيرة كالقتل والزنا وشرب الخمر والسرقة وما أشبهها قد يغفرها الله، وأما الشرك فلا يغفره، لا يُغفر إلا بالتوبة.

فلذلك يهتم المسلم بهذه العقيدة لمعرفة التوحيد حتى يخلص توحيده، (وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه)

(1) قال الشيخ/ صالح آل شيخ:

هذه المقدمة مدخل لهذه القواعد، وأول ذلك (أن الحنيفية -هي- ملة إبراهيم عليه السلام)، وجعل الله جل وعلا إبراهيم حنيفا؛ يعني مائلا عن طريق الشرك إلى التوحيد الخالص، والحنيفية هي الملة التي مالت عن كل باطل إلى الحق، وابتعدت عن كل باطل إلى الحق، وهي ملة أبينا إبراهيم عليه السلام كما قال جل وعلا: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا﴾ [آل عمران: 67]، وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [النحل: 120-121]، حقيقة ملة إبراهيم هي تحقيق معنى لا إله إلا الله كما قال جل وعلا في

سورة الزخرف: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: 26-28]، وهذه الكلمة هي كلمة لا إله إلا الله قال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف: 26-27]، هذه هي كلمة التوحيد؛ ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ هذا هو النصف الذي هو النفي في كلمة التوحيد؛ يعني قول (لا إله) معناه ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾، إلا الله يعني ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾، ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾، وأعظم تفسير لكلمة التوحيد هو هذه الآية حيث قال ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾، ولهذا قال أهل العلم: إن كلمة التوحيد لا إله إلا الله فيها نفي، وفيها إثبات، والنفي للبراءة من كل معبود سوى الله جل وعلا، ومن عبادة كل ما سوى الله جل وعلا؛ لأن عبادة ما سوى الله جل وعلا باطلة، وإثبات العبادة لله جل وعلا وحده سبحانه، يعني إنزال العبودية الحقّة المستحقة في واحد وهو الله جل جلاله، هذه هي ملة إبراهيم، وهذه هي الحنيفية التي أمر الله جل وعلا نبيه بالاستمساك بها؛ ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: 123]، فملة إبراهيم هي التوحيد، وإذا عرفتَ هذا، فإنَّ العبادةَ لا تُقبل إلا بالتوحيد، وذلك ممثل الطهارة للصلاة، فإن التوحيد شرط قبول العبادة؛ يعني الإخلاص، والطهارة شرط صحة الصلاة، فكما أنه لا تصح الصلاة إلا بالطهارة، فكذلك لا تصحّ عبادة أحد إلا إذا كان موحِّدا، ولو كان في جبهته أثر السجود، وكان صائما في النهار قائما في الليل فإن شرط قبول ذلك أن يكون

موحّدا مخلصا، قال جل وعلا: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الزمر: 65-66]، وقال جل وعلا في الكفار: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: 23]، فعظيم العبادة وكثرة العبادة إذا لم تكن مع الإخلاص فإنها غير مقبولة؛ كما أن الرّجل يصلي صلاة عظيمة يطيل فيها القيام، ويطيل فيها الركوع، ويطيل فيها السجود، ويحسّنها جدًّا، وقد دخل فيها على غير طهارة هذه صلاة غير مقبولة بالإجماع؛ لأنّ الطهارة شرط صحة الصلاة؛ كما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «لا يقبل اللهُ صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ»، «لا صلاة إلا بطُهور» وهذا شرط متفق عليه، وهذا تقريبٌ لهذه المسألة العظيمة، وإلا فإنّ شرط الإخلاص والتوحيد لقَبول العبادة أعظم من شرط الطهارة لقَبول الصلاة؛ لأنه إذا صلى محدِثا متعمدا فإن في تكفيره خلاف بين أهل العلم، وأما إذا عبد اللهَ مشركا؛ فإنه بالإجماع ليس مقبول العبادة، وبالإجماع هو كافر لأنه أشرك بالله جل وعلا الشرك الأكبر الذي لا يقبل معه عمل.

إذا تقرر ذلك فإن هذا الأصل يجعل المرء يخاف، ويفرح؛ يخاف من الشرك وأن يكون من أهله، ويفرح أن جعله الله جل وعلا من أهل التوحيد، فَرَحُه من أن جعله الله جل وعلا من أهل التوحيد يوجب شكر ذلك والمحافظة عليه، وخوفه وهربه من أن يكون من أهل الشرك أو أن يأتيه بعض الشرك يجعله دائما حذرا؛ أن يعْتَرِيَ عبادته، أو عقيدته، أو أقواله شيء من الشركيات؛

لأن الشركيات إذا كانت من الشرك الأكبر فإنها محبطة للعمل، وإذا كانت من الشرك الأصغر فإنها أعظم من البدع، والمعاصي المختلفة، يعني من حيث الجنس، وهذا لا شك يجعل المرء الخائف الرّاجي يعني الخائف الفرح -الفرِح بالتوحيد، الخائف من الشرك- يجعله يطلب هذه القواعد التي تجعله في يقين من أمره.

والتوحيد والشرك في دعوة الإمام المصلح رحمه الله، لمن تأمله قد يكون معه شيء من التردد أو الشك في صحة ما جاء به الشيخ من جهة تقرير المسائل، ومن جهة الحكم على أهل الشرك والإشراك؛ لأنّ المسألة عظيمة أن يكون أحد ممن يقول لا إله إلا الله، محمد رسول الله، ويصلي، ويزكي، ويصوم، ويحج، ويتعبد، ويكون من أهل العبادات العظيمة، ومن أهل الصلاح كما يقول الناس، ثم يقال إن عمله الذي عمله من الشركيات، أو لما لم يكفر بالطاغوت، يجعل عمله هذا كَلاَ شيء، هذه عظيمة، وكيف تستقر في النفوس، فربما حدث من جهة النظر في الناس الذين يتعبدون بالعبادات العظيمة وهم واقعون في الشرك، ربما تعاظم بعض الناس أن يكونوا من المشركين، يعني أن يكون أولئك من المشركين، وهذه القواعد لتأصيل هذه المسألة العظيمة، وهي أن الأمر ينظر فيه إلى حق الله، وإنما أتى الخلل من جهة نظر الناس إلى حق المخلوق؛ إلى واقع المخلوق، لكن لو نظروا إلى حق الله جل وعلا؛ الذي خلق الإنسان فسواه، وعدله، والذي خلق السماوات على هذا النحو العجيب، وهذه الأرض وأقام الدلائل على وحدانيته بربوبيته، وجعل ذلك في النفس، وفي الآفاق، وفيما حوله، يجعل أنه لا حجة لمشرك على الله جل وعلا، ولكن الله

القاعدة الأولى: أن تعلم أنّ الكفّار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يُقِرُّون بأنّ الله تعالى هو الخالِق المدبِّر، وأنّ ذلك لم يُدْخِلْهم في الإسلام، والدليل: قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[يونس:31] (1)..........

سبحانه وتعالى بعث الرسلَ رحمة؛ لإقامة الحجة ولإعلان[النذير].

(1) قال الشيخ/ ابن جبرين:

هذه هي القاعدة الأولى؛ وذلك لأن القبوريين يدَّعون أن معنى لا إله إلا الله: لا خالق إلا الله، فيقولون: الإله هو الخالق، الإله هو الذي يقدر على الاختراع. هكذا يقول القبوريون، وهذا غير صحيح؛ لو كان كذلك ما خالفوا فيه المشركين الأولين لما قال لهم:قولوا: لا إله إلا الله. امتنعوا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾.

فيمتنعون من قول لا إله إلا الله، ويسمون معبودًاتهم آلهة، والإله عندهم هو الذي تألهه القلوب، أي تحبه وتعظمه وتجله وتحترمه، وتخضع له وتخشع له وتتواضع بين يديه، هذا هو الإله، وليس الإله الخالق، فإنهم يعرفون أن الخالق هو الله وحده، المشركون الأولون -مشركو العرب وغيرهم- كلهم يعرفون أن الخالق هو الله وحده، ولا ينسبون لغيره شيئًا من الخلق، الخلق لله وحده، يعترفون بذلك، ولا ينسبون لمخلوق أية شيء من التصرف، فهكذا كان شركهم.

أما الخلق والرزق فإنهم يعترفون بأنه من الله، يعترفون ويقرون بأن الله هو

الذي خلقهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ من الذي خلقكم؟ الله، الله هو الذي خلقنا، من الذي خلق السموات وخلق الأرضين؟ يعترفون بأنه هو الله، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ فهم يعترفون بأن الله هو الذي خلق السموات والأرض.

وهكذا يعترفون بأنه الذي يدبر الأمور في هذه الآية: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من الذي ينزل المطر؟ من الذي يرسل السحب؟ من الذي يرسل الرياح فتثير سحابا؟ يقولون: هو الله. من الذي ينبت النبات؟ من الذي خلق هذه الأرض وجعلها قابلة للنبات -قابلة لأن تنبت-؟ يعترفون بأنه هو الله. يقول: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي من الذي يرزقكم هذا الرزق؟ ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ من الذي خلقكم وخلق السمع والبصر في كل هذه المخلوقات؟ يعترفون بأنه هو الله، لو اجتمع الخلق كلهم على أن يخلقوا عينًا مثل هذه العين التي في أصغر المخلوقات -التي مثلًا في البعوضة ونحوها، أو في العصفور وما أشبهه؛ لا يقدرون على أن يخلقوا هذه العين بطبقاتها وببصرها وبما فيها.

كذلك أيضًا هذا السمع الذي جعله الله تعالى في الإنسان، بل وفي الحيوانات تسمع؛ يعني الوحوش والطيور وما أشبهها جعلها الله سميعة تسمع هذه الأصوات، هل أحد يقدر على أن يخلق مثل هذه الحاسة التي تدرك الأصوات؟

من الذي يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي؟ يعترفون بأنه هو الله، الله تعالى هو الذي يخرج النبات من الأرض، النبات الذي هو حي؛ يعني يتنامى

(1)..............

من الأرض الميتة، كما في قول الله تعالى: ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ ﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يخرج هذا النبات الحي من هذه الأرض الميتة.

﴿وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ أي: هذا الثمر كأنه ميت؛ لأنه لا يتنامى، يخرجه من هذا الشجر الحي، وكذلك يخرج كل حي من ميت، مثّل بعضهم بإخراج البيض -الذي هو ميت- من الطائر، وإخراج الأفراخ -التي هي حية- من هذا البيض الذي هو ميت وما أشبه ذلك، يعترفون بأن هذا هو الله وحده.

من الذي يدبر الأمر، الذي يدبر هذه الأمور؟ من الذي يرسل الرياح، وينشئ السحاب، ويسير الشمس والقمر، ويسير النجوم والأفلاك ويدبرها، ويسهل لكل رزقه؟

الحاصل أن المشركين يعترفون بأن هذا لله وحده: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ والآيات كثيرة تدل على أن المشركين الأولين يعترفون لله بأنه هو ربهم وهو خالقهم، ومع ذلك سماهم الله تعالى مشركين، فهذه هي القاعدة الأولى.

(1) قال الشيخ/ صالح آل شيخ:

القاعدة الأولى أن توحيد الربوبية لا يُدخل أحدا في الإسلام، توحيد الربوبية ليس هو المطلوب، فإن معرفة العرب بأن الله جل وعلا هو الخالق، وهو الرزاق وحده، وهو المحيي وحده، وهو المميت وحده، وهو الذي يجير ولا يجار عليه، وهو الذي إليه الأمر، وهو الذي يُنزل المطر ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ هذا كله يُقِرّون بأن الذي سخّر ذلك وخلقه هو

الله جل وعلا، ومع ذلك ما نفعهم، ولم يجعلهم الله جل وعلا بذلك من أهل الإسلام، قال جل وعلا: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: 106]، ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ﴾ يعني الإيمان بربوبيته، إلا وهم مشركون في عبادته فانظروا إلى حال كفار العرب مقرون بأفراد الربوبية؛ بأكثر أفراد الربوبية، كما قال جل وعلا: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: 31]، ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ يعني الذي يفعل هذه الأشياء هو الله وحده، ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ يعني أتقولون ذلك وتقرون بوحدانيته في الربوبية، فلا تتقونه في عبادته وحده، وترك الإشراك به، فأقام عليهم الحجة بما أقروا به على ما أنكروه، وهذه هي طريقة القرآن في إقامة الحجة على المشركين، فإن من براهين التوحيد، توحيد العبادة أن تقام الحجة بتوحيد الربوبية؛ لأن من كان هو الفاعل وحده؛ يعني هو الخالق وحده، والرزاق وحده، إلى آخر أفراد الربوبية؛ فإنه هو الذي يستحق العبادة دونما سواه، ولهذا قال سبحانه منكرا على المشركين: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف: 91]، وقال سبحانه: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: 59]، ووصف الذين جعلهم المشركون آلهة، بأنهم عاجزون، وليس لهم قدرة، وليس لهم خلق، وليس لهم صفات تجعل أولئك يتوجهون إليه: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾

﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: 73]، هذا مثل الذين توجهوا إليهم بالعبادة، وإقرار المشركين بالربوبية لم يدخلهم في الإسلام، نستنتج من ذلك أنّ إقرار من بعدهم بالربوبية لا يعني أنهم مؤمنون، فإذا أتى آتٍ وقال: أنا مؤمن بأنّ الله هو الرب، هو الخالق، وهو ربي، وهو الذي يرزقني، وهو الذي أحياني، وهو الذي يميتني. هذا لا يعد مؤمنا الإيمان الشرعي؛ يعني لا يعد مسلما حتى يأتي بالتوحيد، ولهذا غلط المتكلمون حينما عرفوا الإله بأنّه القادر على الاختراع؛ قالوا: الإله هو القادر على الاختراع. فعندهم معنى لا إله إلا الله راجع إلى الربوبية، وهذا أعظم غلط على دين الإسلام؛ الذي غلط به المتكلمون على الدين، وعلى الملة، حيث جعلوا الابتلاء واقع في الربوبية، فإذا أيقن أن الموجب للأشياء والخالق لها هو الله، فإنه يكون عندهم مؤمنا مسلما، وهذا غير معنى الألوهية؛ لأن لا إله إلا الله معناها لا معبود حق إلا الله جل وعلا، فمعناها راجع إلى العبودية لا إلى الربوبية، إذن مراد الشيخ من هذه القاعدة المهمة اليقينية -بأن هذه القاعدة يقينية من حال الكفار والمشركين- بأنهم مقرون بتوحيد الربوبية، ولم ينفعهم، ولم يدخلهم في الإسلام، ولم يجعل لهم حقا؛ لأنهم أشركوا مع الله جل وعلا آلهة أخرى، وعبدوا آلهتهم الباطلة، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص: 5]، فإذا نظرنا في هذا الزمن، وفي زمن الشيخ، وما قبله، وما بعده، في أنّ هناك من يوقن بالربوبية، ولكنه يشرك بالعبادة، فإنّ ذلك لا ينفعه، كحال الأولين، أن القاعدة: أن مشركي العرب كانوا يوقنون بالربوبية.

القاعدة الثانية: أنّهم يقولون: ما دعوناهم وتوجّهنا إليهم إلا لطلب القُرْبة والشفاعة، فدليل القُربة قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾[الزمر: 3] (1).........

والیوم قد یأتي على بعض النفوس، بعض إذا سمع من یقول: إن شاء الله، أو سمع من یذکر الله جل وعلا، أو یقول عن الله هو ربه، وهو مولاه، أو نحو ذلك، ظنَّه مسلما، وقنِع منه بذلك، وهذا لم یقع به الابتلاء أصلا، بل لا بد أن یکون موحدا في عبادته، یعني نعبد الله بما جاء به المصطفى ﷺ، ویکون متبرّئا خالصا من الشرك وأهله.

(1) قال الشيخ/ ابن جبرين:

هذه القاعدة الثانية، فيها سبب شرك الأولين، والذي حملهم على ذلك العمل وصاروا به مشركين، هو نفس الذي يفعله القبوريون الذين يعبدون الأموات؛ فإن الجميع مشتركون في القصد، يقولون: ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لأجل القربة ولأجل الشفاعة، وإلا فنعرف أنهم لا يخلقون ولا يرزقون، لا يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعًا ولا ضرًا، ولكن نجعلهم شفعاء، نجعلهم وسطاء، لا بد لنا من واسطة بيننا وبين الله.

يضربون مثلًا -ولله المثل الأعلى- فيقولون: إذا كان لك حاجة عند الملك فإنك تطلب واسطة يتوسط لك حتى تقضي حاجتك. فأنا حاجتي عند الله المغفرة والرزق، أطلب واسطة، أتوسط بهذا النبي وبهذا الولي، فأقول: يا ولي الله، أو يا نبي الله اشفع لي عند الله، واسأله لي حتى يرزقني ويعافيني ويشفيني من هذا

المرض، ويقضي عني هذا الدين، أو يكف عني هذا العدو، أو ينصرني على من عاداني، أتوسط بك، أدعوك حتى تدعو الله لي. هكذا شبهتهم.

ونقول: إن الملوك بشر، إن الملك والأمير والوزير ونحوهم مثلنا في البشرية، لا يعلمون الغيب ولا يطلعون على الحقائق، ولا يعرفون مَن الصادق مِن الكاذب، ولا تتحمل نفوسهم أن يعرفوا جميع حاجات الخلق.

الرب -سبحانه وتعالى- ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فهو لا تخفى عليه خافية من عباده ﴿يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ لا يشغله سمع عن سمع، لا تغلطه كثرة المسائل مع اختلاف اللغات وتفنن المسئولات، يسمع دعاءك ودعاء هذا ودعاء الخلق كلهم في لحظة واحدة، وفي طرفة واحدة، وإذا كان كذلك، فكيف يكون محتاجًا إلى وسطاء، وكيف يقاس بخلقه؟

فلا يجوز لكم أن تقيسوا الخالق بالمخلوق، وتقولون: نجعل بيننا وبين الله وسطاء نتوجه بهم إلى الله ليقربونا إلى الله، ليفتحوا لنا الأبواب حتى ندخل على الله، وحتى يقبل منا أو يشفعوا لنا؛ هذا كله قياس فاسد؛ لا يجوز لكم أن تقيسوا الخالق بالمخلوقين.

ذكر الدليل على ذلك، فالدليل على أنهم يقصدون التقرب قول الله تعالى في سورة الزمر: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ يعني يفصل بينهم ﴿فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ وصف هذا بأنه كذب وكفر.

كذبوا، هؤلاء الذين يعبدونهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، حتى

.... (1)

الأنبياء؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ فكيف يقربونكم إلى الله؟

حتى نبينا ﷺ قال الله في سورة الأعراف: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾.

ويقول الله في الآية في سورة الانفطار: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ فكيف يقربونكم إلى الله زلفى؟ وكيف ينفعونكم وهم أموات غير أحياء، كما وصفهم الله في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾؛ يعني: لا يخلقون وهم مخلوقون، ثم وصفهم بأنهم: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ أموات سواء كانوا جمادات أو من الأموات الذين قد ماتوا وانقضت حياتهم: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ يعني: لا يدرون متى البعث، قد انقضت أعمارهم الدنيوية، فكيف مع ذلك يقربونكم إلى الله زلفى؟

(1) قال الشيخ/ صالح آل شيخ:

هذه القاعدة الثانية في بيان حال المشركين في عبادتهم؛ عبدوا آلهة مع الله جل وعلا ومن دونه، ماذا يقصدون بهذه العبادة؟ هل يقولون هي آلهة استقلالية؟ أم أنها وسائط؟ هذه القاعدة أفادت: بأنهم إنما كانوا يعبدون غير الله جل وعلا على جهة الوساطة،

ودليل الشفاعة قوله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: 8] (1)..................

على جهة القربة، أو على جهة الشفاعة، يعني يقولون إنّ آلهتهم الباطلة تقربهم إلى الله، أو ترفع حوائجهم إلى الله، أو يقولون إنها تشفع لهم عند الله جل وعلا، يعني أن مشركي العرب لم يكونوا يطلبون من الآلهة استقلالا، وإنما كانوا يطلبون من الآلهة على وجه الوساطة، وهذه الوساطة من جهة القربة، ومن جهة الزلفى، والجهة الثانية جهة الشفاعة كما ذكر رحمه الله قال (فدليل القُربة قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: 3] قال ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ يعني آلهة، ما نعبدهم، يعني يقولون ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا﴾ ، وهذا حصر، ويسمى عند علماء البلاغة حصر القلب إضافي، ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ يعني ما نعبدهم لعلة من العلل إلا لأجل التقريب، فهم حصروا ما أرادوا في القربى من الله جل وعلا، فهم أرادوا ما عند الله جل وعلا، فإذن حين توجهوا إلى هذه الآلهة الباطلة، أرادوا ما عند الله، ولم يطلبوا منها استقلالا، وإنما أرادوها؛ زلفى وقربى إلى الله جل وعلا قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: 3] فأرادوا بذلك القربة.

(1) قال الشيخ/ ابن جبرين:

(ودليل الشفاعة) هذه الآية في سورة يونس: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يعبدون هؤلاء الأموات أو هؤلاء الغائبين أو هذه الجمادات أو هذه القبور ونحوها:

.....................(1)،

﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ يشفعون لنا، فيطلبون الله حتى يقضي حوائجنا، حتى ينصرنا على أعدائنا، حتى يكثر أموالنا وأولادنا، وحتى يعطينا ما نطلبه: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾ أتخبرون الله بشيء يجهله؟ فالله عالم بكم، وأعلم بكم من هؤلاء الذين تدعونهم وتجعلونهم وسطاء بينكم وبين الله: ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وهكذا كانت عبادتهم لأجل هذا الشرك أنهم يسمونهم شفعاء.

في قصة صاحب يس لما أسلم قال: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾ كيف أتخذ مع الله آلهة؟ سماها آلهة، وذكر أنها لا تغني شفاعتهم شيئًا، وذلك دليل على أنهم يقصدون الشفاعة لعبادة تلك الآلهة، ويسمونها آلهة؛ لأن قلوبهم تألهها أي تعظمها وتحبها.

وهكذا إذا بعثوا في يوم القيامة يقولون: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ ويقولون لآلهتهم: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ نسويكم به؛ يعني بتعظيمنا لكم وفي عبادتنا لكم، لم يسووهم برب العالمين في الخلق والتدبير، وإنما سووهم في استحقاق العبادة، دعوهم كما يدعى الله، فهذا دليل على أنهم يعرفون الله، وأنهم يعبدونه، ولكن يتخذون معه هذه الآلهة للشفاعة.

(1) قال الشيخ/ صالح آل شيخ:

ودليل الشفاعة قوله جل وعلا: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا﴾ [يونس: 18] الآية، والشفاعة أن يطلبوا من الله جل وعلا لهم الحوائج؛ لأنّ معنى الشفاعة

أن يضم المطلوب منه طلبه إلى الطالب فيرفعه إلى من عنده الأمر، هذا معنى الشفاعة، ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾، فيعني يكونون طالبين لنا ما نريد، والله جل وعلا لا يردُّ شفاعتهم؛ لأنهم مقربون عنده، وأصل شرك العالَم كان في جميع الفئات والطوائف كان على أحد جهتين:

❖ أما الجهة الأولى، الشرك بالاعتقاد بروحانيات الكواكب، كما كان شرك قوم إبراهيم عليه السلام؛ فإن إبراهيم أتى إلى قومه يعبدون الأصنام التي هي مصوّرة على صور روحانية الكواكب؛ الكواكب الخاصة التي يعتقدون أن لها تأثيرا في الملكوت، عبدوا الأصنام أو الأوثان؛ لأنّ أرواح تلك الكواكب تحِلّ فيها؛ الشياطين تحل في تلك الأصنام والأوثان وتخاطبهم، وربما حصلت لهم بعض ما يريدون، فوقع الأمر بأن أشركوا، وزادوا من الشرك على اعتقاد أن الكواكب هي التي تفعل، وروحانية الكوكب هي التي تخاطب؛ قال جل وعلا: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ۝٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ﴾ [الأنعام: 75-76]، والعلماء اختلفوا هل كان ناظرا أو مناظرا؟ والصحيح الذي يضعف غيرُه؛ أن إبراهيم عليه السلام كان في قوله ﴿هَٰذَا رَبِّيۖ﴾ كان مناظرا لا ناظرا.

❖ والنوع الثاني من أنواع الشرك: شرك قوم نوح عليه السلام، وهو الشرك من جهة الاعتقاد بروحانية وأرواح الصالحين؛ قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾ [نوح: 23] فثبت في صحيح البخاري؛ من حديث عطاء عن ابن عباس أنّه قال هذه أسماء رجال

والشفاعة شفاعتان: شفاعة منفيّة وشفاعة مثبَتة:

فالشفاعة المنفيّة ما كانت تُطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلاّ الله، والدليل: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة: 254].

والشفاعة المثبَتة هي: التي تُطلب من الله، والشّافع مُكرَمٌ بالشفاعة، والمشفوع له:

صالحين كانت في قوم نوح، ووقع الشرك بهؤلاء الرِّجال لأنهم صالحون، العرب ورثوا الشرك بالصالحين؛ فعبدوا أصناما متعددة، وأوثانا؛ عبدوا اللاّت؛ واللاّت كان مكانا، كان قبرا تحل فيه روحانية ذاك كما يعتقدون، ومثّلوا عليه صنما فصاروا يعبدونه، وهي شياطين تتلاعب بهم، وكذلك العُزّى؛ والعزى شجرة، ومَناة صخرة، وكان عند الشجرة رجل صالح يتعبد، وكان عند مَناة صالح يتعبد، وجعلوا الصالحين وأرواح الصالحين، والاعتقاد فيهم، وجَعل أولئك أولياء، جعلوا ذلك سببا لكي يرفع أولئك الحوائج لهم إلى الله جل وعلا.

إذا تأملتَ حال العرب، وجدت أن الشرك حصل من العرب، كما أراد الشيخ رحمه الله تقريره في هذه القاعدة الثانية؛ أنّ الشرك حصل من العرب- كما سيأتي- في أناس صالحين، أو أن الشرك وقع بالآلهة لأجل طلب القربة والشفاعة، لا لأجل أنّ هذه مستقلة لها شيء من الربوبية، أو لها شيء من الألوهية الاستقلالية، لا، ولكن لها ألوهية على جهة [السبب]، تُعبد لكن لأنها واسطة وليست آلهة مستقلة، ولهذا قال جل وعلا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًا ﴾ [ص: 5]، فإنهم يعتقدون أن هذه الآلهة وسائط على جهة القربة والشفاعة.

من رضيَ اللهُ قوله وعملَه بعد الإذن كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[البقرة:55] (1) ....

(1) قال الشيخ/ ابن جبرين:

(الشفاعة شفاعتان: شفاعة منفية وشفاعة مثبتة): الشفاعة المنفية هي الشفاعة الشركية التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، فمن طلب من الله شيئًا لا يقدر عليه إلا هو وقال أريد الشفاعة فقد أشرك؛ وذلك لأنهم لا تغني شفاعتهم شيئًا ﴿لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ﴾.

لذلك قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ يعني في الآخرة، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ وفي هذه الآية في سورة البقرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ وهو يوم القيامة؛ يعني قدموا لآخرتكم شيئًا ينفعكم من النفقات والعبادات قبل أن يأتيكم ذلك اليوم الذي ليس فيه بيع، يعني لا يملك أحد شيئًا يتجر به، ولا يملك أن يبيع شيئًا يفتدي به، ولو ملك الأرض كلها لافتدى بها كما في قوله تعالى: ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾.

﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ الخلة: الصداقة والأخوة؛ أي ليس هناك بين الناس أخوة، بل كل خليل يتبرأ من خليله. في الدنيا هناك أخلة ولكن تنقلب خلتهم يوم القيامة عداوة، قال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ فهكذا لا

خلة ولا أخوة ولا قرابة، بل كل قريب يتبرأ من قريبه: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾.

﴿وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ أي: ليس فيه الشفاعة الشركية التي تطلبونها من الأموات، أو تطلبونها من غير الله، يوم القيامة يأتون إلى آدم ويقولون اشفع لنا فيعتذر ثم... لفصل القضاء، هذه شفاعة بإذن الله تعالى. أخبر ﷺ بأنه لا يشفع إلا بعد إذن الله، حتى يقول الله له: «ارفع رأسك، وسل تُعطَ، وقل تسمع، واشفع تشفع» فلا يبدأ بالشفاعة إلا بعد أن يأذن الله ويقول له: اشفع.

ولهذا جاء هذان الشرطان في القرآن، يجمع الله بينهما وقد يذكر أحدهما، جمع بينهما في سورة النجم: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ يأذن ويرضى: الإذن للشافع، والرضا عن المشفوع فيهم.

وكذلك قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ أذن للشافع، ورضي عن المشفوع له.

وذكر الرضا في سورة الأنبياء قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ أي: لمن رضي قوله، ومعلوم أن الله لا يرضى عن القوم الكافرين، كما أخبر بذلك: ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ وإذا كان لا يرضى عنهم فلا يأذن للشفاعة فيهم، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾

وأما الإذن فذكره في آيات كآية الكرسي: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾

.....................................(1)

الأنبياء يتوقفون عن الشفاعة في الآخرة إلا بإذن؛ إذا أذن الله لهم وقال: «أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه دينار من الإيمان» يخرجونهم بإذن الله، فيأذن الله للأنبياء وللملائكة وللصالحين أن يشفعوا في بعض من دخل النار حتى يخرجوهم إذا كانوا من أهل التوحيد، وإنما دخلوا النار ببعض المعاصي.

فالحاصل أن الشفاعة إنما تنفع بهذين الشرطين:

الشرط الأول: الإذن للشافعين: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾

والشرط الثاني: الرضا عن المشفوع فيهم من أهل الذنوب: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾.

(1) قال الشيخ/ صالح آل شيخ:

الشفاعة في الكتاب والسنة (النصوص) نوعان شفاعة منفية وشفاعة مثبتة:

- والشفاعة المنفية -كما ذكر الإمام رحمه الله- هي الشفاعة فيما لا يقدر عليه إلا الله جل وعلا؛ شفاعة في مغفرة الذنب ممن لا يملك ذلك، الشفاعة بمعنى طلب الدعاء؛ شفع يعني طلب، والشفاعة هي الطلب، والمطلوب منه إما أن يكون حيا حاضرا، وإما أن يكون ميتا؛ والحي الحاضر في الدنيا أو في عرصات القيامة جاءت الأدلة بجواز طلب الشفاعة منه، كما جاءت بذلك النصوص الكثيرة، أما الميّت فإنه ليس في دار عمل، وليس في دار طلب، وليس عند الله جل وعلا بالمكان الذي يطلب فيعطى ما طَلَبَهُ، ولكن تطلب الشفاعة من الله جل وعلا، فالشفاعة المنفية هي التي نفاها الله جل وعلا في الكتاب كما في قوله جل وعلا: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾[غافر: 18]، وكما

قال: ﴿وَلَا شَفَٰعَةٌۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[البقرة: 254]، وكما قال جل وعلا: ﴿لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ﴾[الأنعام: 51]، ونحو ذلك من الآيات التي فيها نفي الشفاعة، هذه الشفاعة المنفية هي الشفاعة التي تكون من غير إذن الله، ولا رضاه، وتكون بطلبها ممن لم يُمكَّن من ذلك، طلب ذلك من ميت مهما كانت درجته، فإنه لم يُمكَّن من ذلك، لم يُمكَّن أن يطلب الشفاعة.

- ولهذا يكون طلب الشفاعة من الله جل وعلا، وهذه هي الشفاعة النافعة، الشفاعة المثبتة، وهذا استطراد من الشيخ رحمه الله، في بيان معنى الشفاعة الحقة، والرد على الذين تعلقوا بالشفاعة الباطلة، وتفصيلها معروف في موضعه من كتاب التوحيد، ومن كتب أهل السنة في الشفاعة.

مُلخّص ذلك أن الشفاعة المثبتة هي التي توفرت فيها الشروط الشرعية، وأعظم هذه الشروط شرطا الإذن والرضا؛ الإذن للشافع أن يشفع، والرضا عن المشفوع له، قال جل وعلا: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾[النجم: 26]، وقال سبحانه: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾[البقرة: 255]، وقال جل وعلا: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾[الأنبياء: 28]، وقال: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[الزخرف: 76]، فإذن الشفاعة المثبتة هي النافعة، لكن تنفع بشرطي الإذن والرضا، فالرضا عن الشافع، وأن يكون ممن شهد بالحق وهو يعلم، والرضا عن المشفوع له أن يكون من أهل التوحيد، ولهذا ثبت في الصحيح أن أبا هريرة ﷺ سأل النبي عليه الصلاة والسلام فقال: يا رسول الله من أحق الناس بشفاعتك، أو قال من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة، قال: «لقد علمتُ أنه لن يسألني أحد قبلك، لما أعلم من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه» قال العلماء: معنى قوله (أسعد الناس) يعني سعيد

القاعدة الثالثة: أنّ النبي ﷺ ظهر على أُناسٍ متفرّقين في عباداتهم منهم مَن يعبُد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأحجار والأشجار، ومنهم مَن يعبد الشمس والقمر، وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يفرق بينهم، والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال: 39]. **ودليل الشمس والقمر قوله تعالى:** ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ﴾ [فصلت: 37]. **ودليل الملائكة قوله تعالى:** ﴿وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ﴾ [آل عمران: 80]. **ودليل الأنبياء قوله تعالى:** ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ

الناس. فأفعل التفضيل هنا ليست على بابها في المفاضلة، وإنما هي بمعنى فعل كقوله جل وعلا: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا﴾ [الفرقان: 24]، والنار ليس فيها مقيل حسن.

فإذن الشفاعة إنما هي لأهل الإخلاص، شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام، وشفاعة الملائكة، وشفاعة الصالحين، وشفاعة العلماء يوم القيامة، إنما هي لأهل الإخلاص، وأهلُ الإخلاص يطلبونها من الله؛ فيقول المخلص: اللهم شفع فيَّ رسولك ﷺ يوم القيامة، اللهم شفع فيّ ملائكتك، اللهم شفع فيّ العلماءَ الصالحين، اللهم شفع فيّ عبادك الذين تحبهم ويحبونك، ونحو ذلك من الألفاظ، فتطلب الشفاعة من الله جل وعلا، ولا تطلب الشفاعة من المخلوق، لم؟ لأن الشفاعة طلب الدعاء؛ إذا قال أستشفع، يعني أطلب منك الدعاء، أطلب منك رفع حاجتي، وإذا رجع أمر الشفاعة إلى الطلب صارت الشفاعة من أنواع الدعاء، فصارت دعوة غير الله شركا أكبر، لهذا نقول طلب الشفاعة من غير الله شرك أكبر، مما لا يقدر عليه إلا الله، يعني من الأموات ونحو ذلك فإن هذا شرك أكبر؛ لأنه دعاء والدعاء يجب أن يكون مخلصا فيه لله جل وعلا.

إن كُنتُ قُلتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة: 116]. **ودليل الصالحين قوله تعالى:** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ...﴾ الآية [الإسراء: 57] .**ودليل الأحجار والأشجار قوله تعالى:** ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ [النجم: 19-20].**وحديث أبي واقد الليثي ﷺ قال: خرجنا مع النبي ﷺ إلى حُنين ونحنُ حدثاء عهدٍ بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله إجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. الحديث**(1)..

(1) قال الشيخ/ ابن جبرين:

ذكروا أن القبوريين يقولون: إن الأولين يعبدون الأصنام، ونحن ما عبدنا الأصنام، أتجعلون الصالحين أصنامًا؟ أتجعلون أولياء الله أصنامًا؟ أتجعلون الشيخ عبد القادر والشيخ معروف الكرخي والسيد البدوي والجنيد وأشباههم من الأولياء الصالحين، أتجعلونهم أصنامًا؟ أتسمونهم بالأصنام؟

إذا قالوا ذلك؛ فقل: أنتم الذين جعلتموهم أصنامًا، فإذا بنيتم على هذا القبر، ورفعتموه وسترتموه مثلًا، وعكفتم عنده ودعوتموه؛ أصبح صنما. المشركون ينتقون صورة للولي الذين يعظمونه، وينصبون هذه الصورة ويدعونها ويتمسحون بها ويسمونها صنما، ينحتونها على صور الأولياء: ﴿أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ﴾.

والمشركون أيضًا يعبدون مثلكم أولياء وأنبياء وصالحين ونحوهم. القبوريون يعبدون أشجارًا، ويعبدون نيرانًا، ويعبدون أحجارًا، ويعبدون قبورًا، يعبدون

غير الله آلهة كثيرة، كالذين في العراق يعبدون الحسين بنوا على قبره على مكان يقولون إنه قبر الحسين وصاروا يأتون إليه من مسيرة ألف كيلو أو ألفين أو أكثر، ويطوفون في ذلك المكان، في مكان يقال له كربلاء.

وجاءهم الشيطان أيضًا يزين لهم وقال: إن عليًا دفن في هذا المكان وإن هذا قبره، فسموه النجف ؛ فبنوا عليه بنية، وصاروا يذبحون له، ويطوفون به، ويدعونه ويعكفون حوله، ويتحرون استقباله ويصلون له، ويحلفون به: يا ولي الله يا علي بن أبي طالب يا سيد الخلق، يا كذا وكذا. أليس هذا صنمًا؟ لا شك أن هذه أصنام وأوثان؛ لأنها تعظم كما تُعظم الأصنام..، الذين يعبدون تلك الأصنام يعبدونها لما ذكرنا للقربة وللشفاعة.

فالحاصل أن النبي ﷺ لما بعثه الله كان أهل زمانه متفرقين في عباداتهم؛ يعني بعضهم يعبد كذا وبعضهم يعبد كذا، منهم من يعبد الملائكة، ويسمون الملائكة بنات الله، ومنهم من يعبد الأنبياء، ومنهم من يعبد الصالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبد الشمس والقمر.

يعبدون معبودات متفرقة، ولم يفرق بينهم، بل جعلهم كلهم مشركين، حكم بأنهم كلهم مشركون، وقاتلهم جميعا، ولم يقل: أنتم الذين تعبدون الصالحين، تعبدون الصالحين فلا نقاتلكم ولا نكفركم، لأن الصالحين لا يسمون أصنامًا، بل قاتل الجميع، أمره الله تعالى بقتال الجميع، قال الله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا﴾ ؛ يعني عن الشرك: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾

فهكذا أمره الله بقتال الجميع: ﴿قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ وفي هذه الآية: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ﴾ أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك؛ يعني حتى لا يكون هناك شرك، قاتلوهم حتى يسلموا ويتوبوا، ويتركوا الشرك، ويخلصوا العبادة لله وحده ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ﴾.

ذكر الأدلة يقول: الدليل على أنهم يعبدون الشمس والقمر قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ دل على أن هناك أناس يعبدون الشمس ويعبدون القمر، ويُعَبِّدون أولادهم لها، فيهم كثير يسمونه عبد شمس.

والعبودية معناها الذل؛ يعني أنه مملوك للشمس أو نحوه؛ فدل على أنهم يعبدون الشمس والقمر، فنهاهم الله وقال: ﴿لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾.

ذكر الله أيضًا عن أهل سبأ –سبأ في اليمن– أنهم يسجدون للشمس: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ فدل على أن هناك من يعبد الشمس، الشمس مذللة مخلوقة مسيرة بأمر الله تعالى، لا تملك لمن يعبدها نفعًا ولا ضرًا.

فكذلك أيضًا الذين يعبدون الملائكة، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ يقولون: ما أمرناهم بعبادتنا، وإنما

الشياطين هي التي أمرتهم بعبادتنا، وصرفتهم عن عبادة ربهم: ﴿يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ يعني: الشياطين أي يطيعون الشياطين في إشراكهم، ويعبدون الشياطين، وكل من عبد غير الله فإن عبادته تكون للشيطان، كما في قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ .

يقولون: ما عبدنا الشيطان، بل إنما عبدنا الأولياء. فنقول: إنكم أطعتم الشيطان الذي دعاكم إلى عبادة غير الله، فوقعت عبادتكم للشيطان.

لما نزل قول الله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ قالوا: أتقول يا محمد إن معبوداتنا كلها حصب جهنم؟ نحن نعبد الملائكة، الملائكة من حصب جهنم؟ واليهود يعبدون عزير والنصارى يعبدون المسيح ويعبدون الصالحين، أكُلُّ هؤلاء حصب جهنم؟

فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ وأجابهم النبي ﷺ بأن عبادتكم لهؤلاء الصالحين تقع للشياطين، فالشيطان هو الذي دعاكم إلى ذلك، فأنتم في الحقيقة تعبدون الشياطين، فأنتم والشياطين حصب جهنم.

وكذلك في هذه الآية: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ دل على أنهم قد اتخذوهم أربابًا؛ يعني آلهة، اتخذوهم أربابًا يعني آلهة يعظمونهم؛ فنهاهم ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ بل ينهاكم أن تتخذوا الملائكة أربابًا، أو تتخذوا الأنبياء أربابًا.

وكذلك دليل عبادتهم للأنبياء أن منهم من عبد المسيح كالنصارى، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ إلى قوله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ ما قلت لهم: اعبدوني ولا اعبدوا أمي، وإنما قلت: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ وهذا دليل على أنهم عبدوه من دون الله من قبل أنفسهم، وأن عيسى تبرأ منهم.

فدل على أن هناك من يعبد الأنبياء كعيسى ونحوه، وأخبر النبي ﷺ بأن النصارى إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا، وسموه باسمه، وصوروا فيه صورته، وصاروا يعبدونه.

ودليل الصالحين قول الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ هذه الآية نزلت فيمن يعبد الصالحين، أو نزلت في كل من يعبد معبودًا وذلك المعبود يعبد الله: ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ هل يملكون كشف الضر عنكم؟ هل يملكون تحويله ونقله منكم إلى غيركم؟

أولئك الذين تدعونهم لا يملكون شيئًا من ذلك، هم خير منكم: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾؛ يعبدون الله ويتوسلون إليه بأسمائه، ويتقربون إليه بعبادته: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ فأيكم أقرب؟ أنتم الذين تعبدونهم وهم مخلوقون؟ أم هم الذين يعبدون الله ويبتغون

الوسيلة إليه -يعني القربة- ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ ؛ فدل على أن هناك من يعبد الصالحين الذين يبتغون الوسيلة إلى الله تعالى ويرجونه ويخافونه.

دليل الأشجار والأحجار: مشهور أنهم يعبدون أشجارًا وأحجارًا، كما قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾

اللات: صخرة في الطائف ولكن كان تحتها قبر ولي يسمونه اللات؛ لأنه كان يخدم ويضيف الحجاج؛ فعبدوا الصخرة.

العزى: شجرات في وادي نخلة بين مكة والطائف كانوا يعبدونها، يحلفون بها، يحلفون باللات والعزى، ويفتخرون بعبادتهم لها، ويقصدونها.

قد تقول: كيف ذُهِبَ بعقولهم؟ يعبدون شجرا وحجرا؟ فالجواب أن الشيطان يكلمهم، إذا عبدوها كلمهم الشيطان وزين لهم، ويتكلم في أصل تلك الشجرة، يعتقدون أنها هي التي تتكلم وتخبرهم وتعطيهم وتنفعهم، ولما أسلمت قريش أرسل النبي ﷺ خالدًا فقطع تلك الشجرات التي هي شجر العزى، ولما قطع الشجرات؛ خرجت شبه جنية -شيطانة-؛ فعلاها بالسيف فقتلها، فقال: تلك العزى.

ولما أسلم أهل الطائف أرسل النبي ﷺ من يحطم تلك الصخرة، حتى حطمها وأصبحت جذاذًا.

لا شك أن هذا دليل على أنهم يعبدون هذه الأشجار والأحجار، يوجد في هذه الأزمنة أيضًا من يعبدون الأشجار والأحجار، ولكن يعتقدون فيها كما يعتقد الأولون.

...(1).

ذكر أيضًا من الأدلة قصة في غزوة حنين لما توجهوا إلى حنين كان بعضهم إنما أسلموا إسلامًا جديدًا؛ يعني ما أسلموا إلا من أيام، وبقي عندهم شيء من عادات الجاهلية، فذُكِرَ لهم أن المشركين كهوازن لهم شجرة سدرة يأتون إليها، ويجعلون فيها عرى؛ خيوط أو حبال يعلقون فيها أسلحتهم، يعلقون يعني يتوطون بها، يعلقون فيها تلك الأسلحة، ويقولون: إن هذا فيه النكاية؛ إن السيف أو الرمح أو القوس إذا علق في هذه الشجرة تناله بركتها، ويكون له قوة في القتال.

الصحابة هؤلاء الذين أسلموا جديدًا ظنوا أن هذا جائز، فمروا بسدرة شبيهة بتلك السدرة، فقالوا: «يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط» ما قصدوا إلا في ظنهم أننا إذا علقنا بها سيوفنا نالتها بركتها بركة هذه الشجرة. أنكر عليهم بشدة وقال: «سبحان الله -أو الله أكبر- إنها السنن -يعني العادات- قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾» .

يعني أنكم إذا اتخذتم هذه الشجرة وتبركتم بها وعلقتم بها أسلحتكم فقد جعلتموها صنمًا، وقد جعلتموها معبودًا، وقد شابهتم بني إسرائيل الذين قالوا لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ ثم قال: «لتركبن سنن من كان قبلكم» .

فالحاصل أن هذا دليل على أن هناك من الأولين من عبدوا هذه الأصنام، وأنها عُبدت أيضًا في هذا الزمان.

(1) قال الشيخ/ صالح آل شيخ:

هذه القاعدة فيها مقدمة ونتيجة؛ أما المقدمة فهي راجعة إلى معرفة حال العرب بما أخبر الله جل وعلا عنهم في عباداتهم، وآلهة العرب الباطلة التي كانوا يعبدونها، كانت متنوعة، فمنهم من كان يعبد الشمس والقمر، وذكر

دليل ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: 37]، وهذا النوع من العرب؛ طائفة كانت تعبد الشمس والقمر، ومن غير العرب أيضا، ومنهم من كان يعبد الشجر والحجر، ومنهم من كان يعبد الملائكة، كما قال جل وعلا: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ [سبإ: 40-41]، وكان من الناس؛ من العرب وغيرهم يشرك بالملائكة ومنهم من كان يشرك بالأنبياء، عيسى عليه السلام، قال جل وعلا في حقِّه: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: 116]، فأُشرِكَ بعيسى عليه السلام، وأُشرك بالصالحين قال جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ [الأنبياء: 101-102]، وقد جاء في سبب نزولها، أنه لما نزل قول الله جل وعلا: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا﴾ [الأنبياء: 98]، فرح العرب بذلك، وقالوا سنكون مع عيسى، وسنكون مع العزير، وسنكون مع... مع، ثم نزل قول الله جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ [الأنبياء: 101-102] . فتوجهوا

للصالحين بالعبادات المختلفة للرجال من الأنبياء والرسل والصالحين، وتوجهوا أيضا للأشجار والأحجار: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: 19-20]، توجهوا إلى الشياطين والجن؛: ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: 41]: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: 6] هذه الأصناف عِبادات العرب جاءت في القرآن، وحال العرب ظاهرة فيها، هل فرَّق الله جل وعلا في أمره لنبيه بين فئة وأخرى؛ فقال لهم: من عبد الأشجار والأحجار والأصنام والشمس والقمر قاتلوهم، وأما من جعل الصالحين والأنبياء شُفعاء، وجعل الصالحين والأنبياء قربة وزلفى إلى الله جل وعلا هؤلاء لا تقاتلونهم؟ لم يأتِ هذا التفريق؛ بل جاء الأمر واحدا وحكم على الجميع بأنهم كفار ومشركون، وقوتلوا، وأمر الله جل وعلا بقتال جميع تلك الفئات، وجميع أولئك المشركين؛ جاء الأمر بقتالهم بدون تفريق: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ [التوبة: 36]، وهذا عامٌّ في الجميع، وهذه هي النتيجة، وما قبلها مقدمة، وإذا كان كذلك، كان لا فرق أن يعبد نبيا، أو يعبد حجرا، أو شجرا، أو أن يعبدْ جنيا، أو أن يعبد ملكا، فالحال واحدة.

فمن أتى في هذا الزمان، وفرّق، وقال الصالحون إنما هم أولياء، ولهم مقام عند الله، والأنبياء لهم مقام وجاه، فإذا استشفعنا بهم فإن لهم جاه عند الله جل وعلا. فنقول: وأي فرق بين عبادة هؤلاء الصالحين، والتوجه إليهم، وبين عبادة من عبد عيسى، أو عَبَدَ العُزير، أو عبد الصالحين الذين كانوا يُعبدون؟

أي فرق بين هذا وهذا؟ لاشك أن الحُكم على الجميع واحد، وهذه قاعدة يقينية من أنه لا فرق بين هذا وهذا؛ لأن المدار على عبودية القلب، فإذا قام في القلب التنديد والإشراك بالله جل وعلا، فسواء أكان المشرك به صالحا أو طالحا، كان نبيا أم لم يكن نبيا، كان شجرا أو كان ملكا، الأمر واحد؛ لأن القلب يجب أن تكون عبوديته لله وحده، وأن يكون دينه لله وحده: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: 3]: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾ [الزمر: 14]، وهذه العبودية من جهة العابد، لا ينظر فيها إلى من توجه إليه، فإن توجه لله الواحد الأحد فهو مخلص موحد، وإن توجه إلى غيره فإنه مشرك مهما كان ذلك الغير، ولهذا قال جل وعلا: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: 18] وقوله ﴿أَحَدًا﴾ يعمّ الجميع كما ذكرنا ذلك مرارا، وكقوله جل وعلا: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: 117]، قال جل وعلا هنا: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ ﴿لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾، هذه صفة من عبد غير الله جل وعلا؛ في أنه لا برهان له بما عبد، وليس لها مفهوم لأن هناك ما يُعبد وثَمَّ برهان عليه، بل كلّ من عبد غير الله، ودعا غير الله فإنه لا برهان له على أحقّية ذلك الغير بالعبادة أو بالتوجه.

فإذا نظرنا في هذا الزمن، الذين يعبدون الأولياء، ويعبدون القبور، والمشاهد، ويتوجهون إليها، والأنبياء، والرسل ويقولون مقامات ونحو ذلك للصحابة، أو في كل بلد ثَمَّ ضريح ويتوجه الناس إليه، ويشركون به، يقولون هذه ليست عبادة المشركين الأولين، لِمَ؟ قالوا: لأن هذه عبادة الصالحين،

القاعدة الرابعة: أنّ مشركي زماننا أغلظ شركًا من الأوّلين، لأنّ الأوّلين يُشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، ومشركو زماننا شركهم دائم؛ في الرخاء والشدة. والدليل قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت:65] (1)...............

وأولئك إنما عبدوا الأصنام، عبدوا أحجار، كيف يكون ذلك، وقد قال جل وعلا في وصف أولئك المعبودين: ﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾[النحل: 21]، قال طائفة من المفسّرين؛ كأبي الحيّان في تفسيره البحر المحيط، وقال غيره، إن هذه الآية فيمن يُبعث لأن الله قال ﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ﴾ والذي يوصف بأنه ميت من كان حيا قبل ذلك، والأصنام التي هي من الأحجار والأشجار ونحو ذلك، لا توصف بأنها أموات غير أحياء، وإنما الذي يوصف بذلك من كان تحله الحياة ثم صار ميتا، فإنه يقال أموات غير أحياء، وبيّن ذلك أكثر حين قال ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ فإنها بحق من يبعث يوم القيامة للقاء الله جل وعلا.

فإذن هذا الذي يحتجُّ به مشركو هذا الزمان، ومشركو زمان الشيخ رحمه الله، وهذا في كلِّ مكان، يقولون إنما توجهنا إلى صالحين، وأولئك الأولون إنما توجهوا أيضا إلى صالحين، قالوا نطلب الوساطة ما طلبنا منهم استقلالا، نقول والأولون أيضا طلبوا الواسطة والقربة والشفاعة، ولم يطلبوا الاستقلال، فالحال هي الحال، وإن تغيرت الأسماء، وتغيرت الدعاوى، فالحال هي الحال، وما أشبه الليلة بالبارحة.

(1) قال الشيخ/ ابن جبرين:

هكذا هذه القاعدة: بيان أن المشركين الأولين ليسوا دائما يشركون، بل يخلصون في الشدة؛ إذا كانوا في الرخاء فإنهم يدعون الله ويدعون غيره، وأما إذا كانوا في شدة فإنهم يخلصون الدين لله ولا يعبدون إلا الله.

ذكروا لما أن النبي ﷺ فتح مكة هرب بعض المشركين من مكة وأرادوا أن يهربوا إلى الحبشة أو إلى إفريقية فلما ركبوا في الفلك -في سفينة- وأخذت تضطرب بالأمواج قال لهم الملاح: لا ينفعكم في هذا الوقت إلا الإخلاص، ادعوا الله وحده، أخلصوا له؛ ففكروا وقالوا: إذا كان هو الذي يعبد في الشدة فهو الذي يعبد في الرخاء، فلماذا نترك عبادته في الرخاء؟ فرجعوا وتابوا وأسلموا، وقالوا: الذي يعبد في الشدة هو الذي يعبد في الرخاء.

ذكر الله في آيات كثيرة أنهم يخلصون في الشدة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾؛ إذا نجاكم إلى البر عدتم إلى شرككم، وكذلك في هذه الآية: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ إذا ركبوا في الفلك ومالت بهم السفينة وخشوا من الغرق؛ أخلصوا الدين لله: ﴿ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ ﴾لما نجاهم وسلموا عادوا إلى شركهم، في آيات كثيرة.

أما مشركو زماننا فإن شركهم دائم في الشدة والرخاء، بل قد يشتد في الشدة؛ إذا نزلت بهم شدة فإنهم يرفعون أصواتهم يدعون آلهتهم، كما حصل ذلك كثيرًا.

ذكر بعضهم -بعض العلماء- أن أحدهم كان يسوق له بقرًا في عقبة من العقبات، فلما كان قريبًا من أعلاها سقط ثور وتدهده من قمة الجبل؛ فأخذ ينادي: يا محمد أنقذه يا محمد أنقذه، ولكن الثور تكسر وتدهده؛ فأخذ يدعو الجن ويقول: يا جن أنقذوني، يا جن أنقذوني، محمد يشتهي المرقة؛ ظن أن محمدا ما نصره لأنه يريد أن يموت ذلك الثور حتى يشرب من مرقته -نعوذ بالله من الحرمان.

وذكروا أيضًا: أن قومًا قبل عشرات السنين ركبوا في سفينة ومعهم رافضية معها أكياس من القهوة، ولما توسطوا في البحر أخذت السفينة تموج وتضطرب، فأخذت تنادي: يا علي يا علي أنقذنا، عرفوا أنهم لا بد أن يلقوا في البحر شيئًا من أمتعتهم حتى لا يغرقوا؛ فألقوا أكياسهم كلها، ومن جملتها أكياس الرافضية، ولما وصلوا إلى بلدهم في الأحساء قالت: أين أكياسي؟ قالوا: اطلبيها من علي أنت تدعين عليا أن ينقذك، أخذها علي. والقصص كثيرة في أن هؤلاء إنما يشتد شركهم في الشدة، ويشركون في الشدة أشد من شركهم في الرخاء؛ فصاروا بذلك أشد من شرك الأولين والعياذ بالله.

أسئلة

س: **فضيلة الشيخ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته رجل.. يطوف بقبر مثل الطواف بالكعبة فهل يمكن أن أوصفه بالشرك، كأن أقول: فلان مشرك، أو أنت رجل مشرك؟**

ج- نعم. يجوز ذلك، إذا عرفت أنه يطوف بهذا القبر؛ فإن هذا الطواف يعتبر شركًا، تقول: رأيت فلانًا يطوف وطوافه شرك، وتقول: أشرك فلان.

س: **فضيلة الشيخ. ما السر في ذكر شرطي الشفاعة مقترنين في آيات ومنفردين في آيات أخرى؟**

ج- وذلك بناء على المناسبات؛ يعني كأن بعضهم يقول: إنما نعبدهم لفضلهم؛ فيقال: إنهم لا يشفعون إلا برضاه إلا عمن رضي الله. فاعملوا العمل الذي يرضي الله تعالى حتى يشفعوا لكم.

وأحيانًا يقولون: نطلبهم ليشفعوا لنا؛ فيقال: إنهم لا يشفعون إلا إذا أمرهم الله أو أذن لهم.

س: السؤال الثاني: ذكر بعض العلماء أن الله سبحانه وتعالى يوصف بالسكوت مستدلين بالحديث: «وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان» فما قولكم حفظكم الله؟

ج- يوصف بما وصف به نفسه، فكونه سكت عن أشياء بمعنى أنه لم يبينها، وهذا لا يدل على أنه لا يتكلم في حين من الأحيان، بل من عقيدة أهل السنة أنه يتكلم إذا شاء بما يشاء.

س: فضيلة الشيخ إني أحبكم في الله، والسؤال هو: أننا نجد مشركي زماننا إذا ضاق بهم ذرعًا أو تقطعت بهم الحبال التجئوا إلى الحبل الذي لا ينقطع وهو الله بخلاف قول المؤلف في القاعدة الرابعة؟

ج- لا شك أن هذا يقع من أناس من الذين يفزعون إلى الله تعالى، ولكن ليس هذا دائما، بل كثير من القبوريين يشركون، في الشدة ويشتد شركهم.

س: فضيلة الشيخ أحسن الله إليكم. جاء في الحديث أن النبي ﷺ عندما أرسل خالدًا أزال الشجرة، ثم أمره النبي ﷺ أن يعود فيقتل المرأة، فهل العزى الشجرة أم المرأة، وجزاكم الله خيرًا؟

ج- يسمون الشجرة بالعزى، ولكن في الحقيقة أن العبادة إنما تعبد على تلك الجنية التي تكلمهم من الشجرة.

س: فضيلة الشيخ حفظكم الله، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: في رسالة «ثلاثة الأصول» ورد: (اعلم رحمك الله أنه يجب علي كل مسلم تعلم أربع مسائل..) وذكرها.

ثم قال في موضع آخر: (اعلم رحمك الله أنه يجب على كل مسلم تعلم ثلاث مسائل..) وذكرها، فقال السائل: لماذا هذا التقسيم، فهل كل قسم له متعلق وله علة، أم أنه لا فرق، وبالتالي كان ينبغي أن يقال: اعلم -رحمك الله- أنه يجب تعلم سبع مسائل؟

ج- هذه رسائل كتبها الشيخ -رحمه الله- كفوائد.

فالرسالة الأولى ذكر فيها أربع مسائل: العلم ثم العمل ثم الدعوة ثم الصبر.

وفي الرسالة الثانية ذكر فيها ثلاث مسائل: المسألة الأولى: الحجة التي هي خلق الله تعالى، وأنه خالق الخلق، والثانية: وجوب الإخلاص والتوحيد، والثالثة: ترك الموالاة.

وهذه الثلاث داخلة في الأولى التي هي العلم يعني أن الإنسان إذا علم -إذا كان معه علم-؛ عرف أن ربنا سبحانه وتعالى هو الذي خلقنا وأرسل إلينا الرسل، وعرف بأنه لا يرضى أن يشرك معه أحد، وعرف أنه لا يجوز لنا موالاة من حاد الله؛ فكل بعضها داخلة في بعض ولكن هذا من باب التفصيل.

س: في سؤاله الثاني: رجل ساهم في مشروع تجاري بمبلغ من المال السؤال: متى تجب عليه الزكاة؟ وكيف يزكيها من الربح أو من أصل المال؟

ج- الأصل أن المساهمات إذا كانت في شركات تجارية؛ فإن الزكاة تخرجها الشركة، وأما إذا كانت عادة رأس المال والأرباح، إذا كانت الشركة جعلت رأس مالها في معدات كالشركات الصناعية؛ فالشركة في الأرباح، فإذا دفعوا إليه أرباحه؛ زكى الأرباح؛ لأن رأس المال بعلب المصانع وبالمكائن وبالسيارات التي يشتغلون بها، وما أشبه ذلك.

س: سماحة الشيخ ذكر ابن كثير في كتابه البداية والنهاية في سيرة طاوس رحمة الله عليه.. قال لولده: إذا مت فانبش عن قبري فإن وجدتني فلا حول ولا قوة إلا بالله، وإن لم تجدني فالحمد لله؛ فنبش القبر فلم يجده فقال: الحمد لله، فهل هذا ثابت عنه؟

.................................(1)

ج- ليس بصحيح، ولا يمكن أن طاوس رحمه الله يقول مثل هذا القول، إنما هذا من توليد بعض المؤرخين الذين يولدون مثل هذه القصص يوهمون أن هذا ولي وأنه رفع، وليس كذلك.

س: فضيلة الشيخ: هل الدهر من أسماء الله تعالى؟

ج- لا يسمى الله تعالى بهذا الاسم، قوله في الحديث: «يسب الدهر وأنا الدهر»؛ فسره بقوله: «أقلب الليل والنهار» لما كان الله هو المتصرف كان الذين يسبون الدهر كأنهم يسبون الله؛ فلذلك قال: «وأنا الدهر» يعني: وأنا خالقه وأنا مدبره.

س: سؤاله الثاني: إذا سافر جماعة وأمروا عليهم أميرا، فهل للأمير أن يعاقب أحد الجماعة بضرب، أو منعه من مصلحة، أو عقاب مالي بسبب أنه ارتكب خطأ، أفتونا مأجورين؟

ج- هذه الإمارة إنما هي بمعنى الاستشارة، ولا يجوز له والحال هذه، إنما عليه -عليهم جميعًا- أن يكونوا قائمين على من خالف شيئًا من التعليمات، أو ارتكب شيئًا من المنهيات. هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

(1) قال الشيخ/ صالح آل شيخ:

هذه نتيجة، قاعدة، هي نتيجة لما سبق، يعني مرتبة على ما سبق، إذا تقرَّر أن المشركين في هذا الزمان من جنس المشركين في كل زمان، من جنس مشركي الجاهلية، وإن كانوا ينتسبون إلى الملة، والإسلام، ولهم صلوات، ولهم تعبدات، إذا كانوا من جِنسهم، والشرك الذي فعلوه هو الذي فعله الأولون، فربما [زادت الحال]، وهو الذي بيّنه الشيخ في هذه القاعدة؛ بأن مشركي هذا الزمان أغلظ شركا من مشركي أهل الجاهلية، لِمَ؟ لأنّ الله جل وعلا وصف

أهل الجاهلية بأنهم يُشركون في الرخاء، وأما في الشدة فإنهم يوحدون، قال جل وعلا: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النحل: 53]، إليه، يعني دون ما سواه: ﴿فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ قال جل وعلا -في بيان حالهم في البحر-: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [يونس: 22-23]، وقال جل وعلا: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: 65]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان.32]، إذا تأملت الحال والحال، فأولئك يشركون في حال الرخاء، وأما إذا مستهم البأساء ومستهم الضراء؛ فإنهم يخلصون ويوحدون؛ دعوا الله مخلصين له الدين، أما مشركو هذه الأزمنة؛ فإنهم إذا مسهم الضر فزعوا إلى العيدروس أو الحسين، أو البدوي، أو إلى المرغناني، أو إلى...أو إلى.....إلى آخر أنواع الناس، أو الموتى الذين يتوجهون إليهم، إذا مستهم الضراء فزعوا إلى الأشجار وإلى أحجار ونحو ذلك، وهذا لا شك أنه أعظم من شرك الأولين؛ لأنهم يشركون في الحالين، والمشركون الأولون يشركون في حالٍ واحدة، ويتذكرون في الحال الثانية، ولكن من يفقه هذا؟ ومن يفهم هذا؟ ومن يشِفُّ عليه هذا الأمر حتى يكون يقينيا عنده، لا مراء فيه، ولا لبس؟ لأن بعض الناس قد يقول هؤلاء يصلون، و يزكون، ويصومون، فكيف يكونون

أغلظَ شركا من الأولين؟

نقول العمدة على أصل الدين؛ لأن هذه العبادات بلا توحيد لا تنفع، كما ذكرنا في أول الكلام، كما لا تنفع الصلاة بلا طهارة، فإذا كان هناك عبادات عظيمة مع الشرك فإنها لا تنفع ولا تُقبل، فكيف إذا كان يُشرك في حال الرّخاء وفي حال الشِّدة؟ وقد ذكر بعض العلماء، أنه لقِي رجلا من أهل الطائف، قبل انتشار الدعوة هناك ومعرفة الناس بالدعوة والتوحيد، فقال له هذا: هؤلاء أهل الطائف إذا جاءتهم شدة فزعوا إلى ابن عباس، ولا يعرفون الله. فقال الآخر له: معرفة ابن عباس تكفي. وهذا نوع من أنواع الشركيات التي تغلغلت في النفوس، نَسُوا معها الله جل وعلا في الرخاء، وفي الشدة، إلا ما نذر، وهذا كثير اليوم، فحرِّك ترى، والناس في عجب في هذا الأمر، فالله جل وعلا أنعم علينا في هذه البلاد، أننا لا نرى ولا نسمع ما يقلقنا من هذه الأمور الشِّركية، والكفر الأكبر، والشرك الأكبر، بالله جل وعلا، ومن ذهب إلى البلاد التي تكثر فيها الشركيات؛ كبعض جهات مِصر، وبعض جهات السُّودان، وأفريقيا، وبعض جهات الباكستان، والهند، ونحو ذلك، والعراق، وسوريا، ونحو ذلك، رأى عجبا، والناس يتوجهون إلى هذه الأضرحة، وإلى مدافن الأولياء، بل وغير الأولياء، ويعتقدون فيهم الاعتقادات، جعلوا لهم نصيبا من الإلهية، والله جل وعلا له الحق الأعظم في إخلاص الدين له، وأعظم ما يستحقه جل وعلا أن يُعبّد القلب له، وأن لا تكون ثَمّ عبادة إلا له سبحانه دونما سواه، كما قال جل وعلا: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: 110]، وقال جل وعلا في الحديث القدسي «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه**»، فإذا كان هذا في الرياء، يقصد المرء بالعمل غير الله جل وعلا؛ يقصد رؤية

فلان، فكيف بالتوجه بالعبادة لغير الله جل وعلا، كأنْ يدعو غير الله، وأن يستغيث بغير الله، أو أن ينذر لغير الله، أو أن يذبح لغير الله، أو أن يستعيذ بغير الله بما لا يقدر عليه إلا الله، أو أن يستغيث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، التوجه إلى الموتى والاعتقاد فيهم، ويسمّون ذلك بالسر؛ يُقال روح هذا السيد فيها سر، لهذا يجعلون مكان الروح كلمة سر؛ فيقولون هذا له سر، وقدّس الله سرّه؛ لأنهم يجعلون لأرواح أولئك أسرارا، وروحه ليس فيها سر، إلا سِرُّ صنعها وخلقها من الله جل وعلا، أما أنها تغيث من استغاث بها، أو تُعطي من طلب منها، فهذا كله ليس إلا إلى الله جل وعلا: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: 166]، وقال جل وعلا -مخبرا على حال الكفار في النار-: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: 97، 98]، قال العلماء ما سوَّوهم بربِّ العالمين في أنهم يخلقون، ويرزقون، ويُحيون، ويُميتون، وإنما سوَّوهم برب العالمين في العبادة، في أنْ توجهوا لهم ببعض العبادة، فصاروا مسوِّين لهذه الآلهة الباطلة بالله جل وعلا في استحقاق العبادة، لأنهم عبدوا الله، وعبدوا غيره، فساوَوْا الخلق بالخالق جل وعلا، وهذا أبشع ما يكون من الظلم، وأقبح ما يكون من الاعتداء على حق الله جل وعلا، إذ حقه سبحانه وتعالى إجلاله، وتعظيمه، وتوحيده، والإخلاص له، والاعتراف له بكل كمال، ووصفه جل وعلا بنعوت الجمال والجلال والكمال، وسَل رؤية النفس، وأنه ليس ثَم خير إلا منه سبحانه، وليس ثَم اندفاع شر إلا منه سبحانه، فنحن إنما نتقلب بفضل الله وبنعمته. فهذا الأمر إنما يعود إلى أصل تلك الدعوات الثلاث.

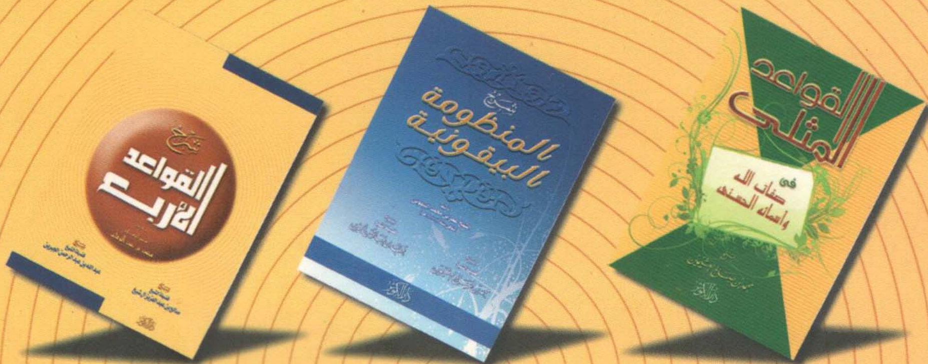
نسأل الله جل وعلا أن يجعلنا ممن إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

الفِهْرِس

الموضوع	الصفحة

طبــعت بمطابــع الحرميــن
ت:٥١٤٥٣٥٩ - ٠١٠١٠٠٩٣٥٢

القواعد الأربع



دار الكوثر
١ ش الإمام محمد عبده - خلف الجامع الأزهر
القاهرة - جمهورية مصر العربية
هاتف: 00202/25141711
جوال: 002/0103172827
dar_elkother@hotmail.com